

تاريخ الإرسال (2018-02-03). تاريخ قبول النشر (2018-03-03)

د. مريم عبد العزيز العبد^{*1}

¹ قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة
شقراء - السعودية.

* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: m_aleid@su.edu.sa

سيمياء الشخصية في رواية الغجرية والثعبان لإبراهيم الناصر الحميدان

الملخص:

يكشف هذا البحث عن سيميائية الشخصية في رواية (الغجرية والثعبان) للروائي السعودي إبراهيم الناصر الحميدان، وهي محاولة لاستكشاف دلالات الشخصية ومدلولاتها في رواية الغجرية والثعبان، ومعرفة أنواع الشخصيات ووظائفها وعلاماتها السيميائية، وكيف استطاع الراوي توظيفها في صناعة أحداث الرواية، مستعيناً بما آلت إليه أبعاد الشخصيات في الدراسات الغربية الحديثة؛ بهدف تعيين دلالتها السيميائية ومدى تحقيقها لذلك الهدف أو بعدها عنه. وقد اشتمل البحث على مقدمة تمهيدية للموضوع، وأهميته، وهدفه وأسباب اختياره، ثم المنهج المتبع، مروراً بتعريف الشخصية، وأهميتها، ومراحل تطورها، ودراساتها في الدراسات الغربية الحديثة، وأشهر منظرها منذ فلاديمير بروب، مروراً بغريماس، ثم تطورها أخيراً على يد فيليب هامون، ثم تطبيق تلك المناهج على رواية الغجرية والثعبان عبر استكشاف وظائف الشخصية في عدة محاور؛ منها الشخصية والعلامة، وتناول أنواع الشخصية داخل الرواية، والتركيز على دال الشخصية ومدلولها في الرواية، وفيه كشفت عن العلامات السيميائية للشخصية وأسمائها، وصفاتها، وبيان أسلوب تقديمها في الرواية. وقد تبين في خاتمة البحث أن شخصيات الرواية تمزج ما بين الواقعي والأسطوري، لكن العالم الأسطوري وأحداثه غلب على العالم الواقعي؛ وكشف هذا الاستخدام عن علامات سيميائية للشخصيات الأسطورية وعلاقتها بالواقعية، وقد أشرت إليها في مواضعها حسب السياق التي برزت فيه.

كلمات مفتاحية: الرواية - السرد - السيميائية - الشخصيات - الغجرية والثعبان

Character Semiotics in the Gypsy and the Serpent novel of Ibrahim Al-Naser Al-Humaidan.

Abstract

The research reveals the semiotics of character personality in the novel "The Gypsy and the Serpent" by the Saudi novelist Ibrahim Al-Naser Al-Humaidan, which were an attempt to explore the marks and meanings of the characters in the novel "Gypsy and the Serpent" and identifying types of characters and their functions and its semiotic signs, and how the narrator was able to engaging them in the composition of the novel events; resorting to what is ended up in the modern western studies with a view to determining their semiotic significance and the extent to which they achieve this goal or beyond it. The research included a preliminary introduction to the subject, importance of the research, purpose of it, reasons for its selection, methodology used, definition of the personality character, its importance, stages of its development, its study in modern western studies, and its most famous theorists since Vladimir Brob, through Grimas, and the finally developing by Philip Hamon. Then applying all that on the novel of the "Gypsy and the Serpent" through exploration of the functions of the personality from several hubs; including the personality and the mark, and dealing with types of personality within the novel, and focusing on the sign of the character and its meaning in the novel, in which it revealed the semiotic signs of personality, names, characteristics, and the presentation manner of it in the novel.

At the end of the research, the characters of the novel combine the realism and the mythical, but mythical world and its events dominated the realism. This use revealed the semiotic signs of mythical characters and their relation to realism, which I referred to in their context recited in.

Keywords: Novel - Narrative - Semiotics - Characters - Gypsy and Serpent

المقدمة:

نظراً لأهمية الشخصية في الدراسات السردية والأعمال القصصية؛ حيث تُعدّ الركيزة الأساس التي نكتشف بها الواقع من حولنا؛ إذ بها وعليها تدور أحداث الرواية. وأياً كان نوع القصة أو الرواية فإن الشخصية تُعدُّ أهمَّ عناصر البنية السردية؛ لأنها تمثل الإنسان الذي نكتب عنه وله في آن واحد. ويتناول هذا البحث سيميائية الشخصية في رواية (العجربة والثعبان) للروائي السعودي: إبراهيم الناصر الحميدان، وهي محاولة لاستكشاف دلالات الشخصية ومدلولاتها في رواية العجربة والثعبان، ومعرفة أنواع الشخصيات، ووظائفها، وعلاماتها السيميائية، وكيف استطاع الراوي توظيفها في صناعة أحداث الرواية، مستعيناً بما آلت إليه أبعاد الشخصيات في الدراسات الغربية الحديثة؛ بهدف تعيين دلالتها السيميائية ومدى تحقيقها لذلك الهدف أو بعدها عنه. والبحث جديد في طرحة، إذ لم يسبق أن تناوله أحد من قبل، على الرغم أن هناك من تناول سيميائية الشخصية في الرواية السعودية بشكل عام، وهي دراسة للريم الفوزان، إلا أنها لم تتناول هذه الرواية بالذات، ونظراً لما تتميز به شخصياتها من أهمية في دلالتها السيميائية؛ فقد رأينا إفرادها بدراسة مستقلة.

وقد اشتمل البحث على مقدمة تمهيدية للموضوع وأهميته وهدفه وأسباب اختياره، ثم المنهج المتبع، مروراً بتعريف الشخصية وأهميتها ومراحل تطورها ودراساتها في الدراسات الغربية الحديثة، وأشهر منظرية منذ فلادمير بروب، مروراً بغريماس، ثم تطورها أخيراً على يد فيلب هامون، ثم تطبيق تلك المناهج على رواية العجربة والثعبان عبر استكشاف وظائف الشخصية في عدة محاور؛ منها الشخصية والعلامة، وتناول أنواع الشخصية داخل الرواية، والتركيز على دال الشخصية ومدلولها في الرواية، وفيه كشفت عن العلامات السيميائية للشخصية وأسمائها، وصفاتها، وبيان أسلوب تقديمها في الرواية. وقد اعتمدت في ذلك على طريقة المنهج الوصفي التحليلي مستعينة بما أنتجته الدراسات السيميائية من أدوات وآليات للكشف عن الدلالات الإيحائية وتأويلاتها في ميدان علم النقد الحديث، مع الاستفادة من الأدوات التي أفرزتها الدراسات السردية الحديثة. وأياً كان نوع القصة أو الرواية، فإن الشخصية تُعدُّ أهمَّ عناصر البنية السردية؛ لأنها تمثل الإنسان الذي نكتب عنه وله في آن واحد.

أولاً: أهمية الشخصية:

تحتل الشخصية أهمية بارزة في الدراسات الأدبية والنقدية والأعمال الروائية السردية؛ وذلك لأن الشخصية هي أحد أعمدة الرواية وأهمها، وقد اكتسبت أهميتها من أهمية الإنسان المكتوب له وعنه، ولأن قضايا الإنسان ومشكلاته هي المحور الأساس لكل الأجناس الأدبية، فضلاً عن كونها هي التي تتحكم بأحداث الرواية وعناصرها سواء على مستوى المكان أو الزمن أو الأحداث، إذ يُعدُّ نقد الشخصية "إحدى الدعائم الرئيسة التي يقوم عليها البناء الروائي، بل إن النقاد يعدونها ركيزة الروائي الأساس، وبدونها لا وجود للرواية"⁽¹⁾.

وقد أحدثت الدراسات التي تهتم بالعمل السردية ثورة على جملة من المفاهيم والمصطلحات التي تتعلق بعناصر العمل السردية، ومنها عنصر الشخصية الروائية التي تمثل مرتكز العمل السردية، ونتيجة لذلك تنوعت مفاهيم الشخصية، وتعددت تصنيفاتها

(1) الحازمي، حسن بن حجاب، البناء الفني في الرواية السعودية، (ص195).

بحسب أهميتها وحضورها في العمل الأدبي بشكل عام، وفي العمل السردى على وجه الخصوص، فضلاً عن "كونها كائناً إنسانياً مليئاً بالحياة"⁽²⁾. ولذلك كان "من أبرز سوء التفاهات التي أبعدت النقد عن تلمس حقيقة الشخصية الروائية هو ذلك الخلط الذي درج القراء والنقاد على إقامته بين الشخصية التخيلية كمكون روائي، والشخصية بوصفها ذاتاً فردية أو جوهرًا سيكولوجياً"⁽³⁾.

ومن هنا جاء اهتمام النقد الحديث بالشخصية في إطار وظيفتها الخارجية واستعمالاتها المختلفة حسب الدور الذي تقوم به في صناعة الأحداث الروائية.

مفهوم الشخصية الروائية:

دلت كلمة شخص في البداية "على القناع الذي يضعه الممثل على وجهه أثناء أداء الدور المسند إليه في المسرحيات التراجيدية، ثم صار بعد ذلك يدل على الدور نفسه"⁽⁴⁾. في حين ظهرت كلمة شخصية بعد كلمة شخص في منتصف القرن الثالث الميلادي، واشتهرت في القرن الخامس عشر الميلادي⁽⁵⁾. وتعد الشخصية علامة لسانية وكائناً ورقياً تنشئه المخيلة والكلمات، ويستعمله المؤلف لإيهام القارئ بصدق الواقع الروائي⁽⁶⁾.

أما بالنسبة للعمل الروائي، فإن الشخصية تمثل "ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية من المقومات الرئيسة للرواية، وبدونها لا وجود للرواية؛ ولذا تجد بعض النقاد يعرفون الرواية بقولهم: الرواية شخصية"⁽⁷⁾.

فالشخصية عنصر مؤسس في بناء النص الروائي، حيث تعمل بوصفها قوة مولدة للأحداث تؤثر فيها وتتأثر بها، وتتحرك في الزمان والمكان؛ لتشكل بعلاقاتها المتصارعة عنصري التشويق، والإثارة، وهي وسيلة الكاتب لتجسيد رؤيته والتعبير عن إحساسه بواقعه.

ومن هنا فإن الشخصية الروائية كائنٌ متخيّل لها طرائقها الخاصة في الوجود والإحساس بالأشياء وإدراك العالم الآخر، وتختلف الشخصية الروائية عن الواقعية أو التاريخية بكونها أكثر تفرّداً وتميزاً عند القارئ، ويمكنه فهمها فهماً كاملاً إذا رغب بذلك، ومن هنا فإن الشخصية الروائية ليس لها وجود واقعي بقدر ما هي مفهوم تخيلي لها دورها المهم في النص للدلالة على الشخص الواقعي، وهي عنصر مشارك من عناصر النص الروائي تتفاعل مع الأحداث سلباً وإيجاباً، وتستوعب المتغيرات بمختلف أنواعها من خلال محاولة تشكيل الروائي لها وفق نسق مميز، يسهم في تكوين بنية النص الروائي بوصفه وحدة دلالية واحدة⁽⁸⁾.

(2) الفوزان، الريم مفوز، سيميائية الشخصية في الرواية السعودية، (ص22).

(3) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية)، (ص210).

(4) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: شخص.

(5) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة: شخص.

(6) انظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (ص213).

(7) ماضي، شكري، فنون النثر العربي الحديث، (ص30).

(8) انظر: الفوزان، الريم مفوز، سيميائية الشخصية في الرواية السعودية، (ص24-26).

تصنيفات الشخصية الروائية

حظي مفهوم الشخصية باهتمام كبير منذ عهد أرسطو الذي عدّ الشخصية عنصراً ثانوياً بالقياس إلى عناصر العمل التخيلي، وخضع هذا المفهوم لتغييرات كثيرة عبر تاريخ الأدب؛ حتى أصبح من الصعب التعرف عليه في إطاره التعاقبي⁽⁹⁾.

وفي مطلع القرن العشرين بدأ مفهوم الشخصية يتطور بداية من جهود الشكلايين الروس الذين عدّوا الشخصية دعامة أساسية في كتابة العمل القصصي، واهتموا بالدوافع التي تهتم بكتابة العمل القصصي وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً وسموها مميزات، إذ إنها تحدد نفسية الشخصية ومزاجها⁽¹⁰⁾.

وزاد الاهتمام بالشخصية نتيجة ما أولته الدراسات السيميائية بمقولة الشخصية الروائية، التي تُعدُّ أساس العمل الروائي، إذ امتد المجال ليشمل وظيفة الشخصية ودورها المناط بها داخل العمل السردية، ويعود الفضل في ذلك إلى العالم الروسي فلاديمير بروب، الذي ركز على الوظائف التي تقوم بها الشخصية في الحكايات الشعبية، وربط الشخصية بالوظيفة التي تقوم بها وبطبيعة هذه الحكاية⁽¹¹⁾. ونراه في كتابه "مورفولوجيا الحكاية" لا يهتم بالشخصية من حيث أوصافها وأفعالها، بل يرى أن الأهم من ذلك هو الدور الذي تقوم به داخل الحكاية. فيقول: "إنما هو مهم في دراسة الحكاية هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات، أما من فعل هذا الشيء أو ذاك، وكيف فعله فتلك أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها تابع لاغير⁽¹²⁾ - ويعرف الوظيفة بأنها "فعل شخصية قد حدد من وجهة نظر دلالتة في سيرورة الحكاية"⁽¹³⁾.

وفي دراسته لمئة حكاية خرافية روسية رأى أن الشخصيات، في تمثّلها للوظيفة داخل الحكايات، لها ثلاثون وظيفة تتسع لتتجمع في سبعة دوائر أو أنماط هي: (الموكّل، والمساعد، الواهب، المعتدي، الأميرة، البطل، البطل المزيف)، ويمكن أن تتداخل هذا الوظائف في شخصية واحدة لتقوم كل شخصية أحياناً بأكثر من وظيفة⁽¹⁴⁾. وأعتد في ذلك على مبدأ الثبات والتحول، فالشخصية الحكائية لا أهمية لها، وهي كائن متحول، وبالتالي فالأولى أن تتخلى عن عنصر التحول، وتبحث في بنية الحكاية (العنصر الثابت) عما تقدمه من وظائف، منطلقاً في تحديدها مما أسماه بدوائر فعل الشخصيات⁽¹⁵⁾.

وجاء التطور والتحول الكبير في دراسة الشخصية الروائية على يد غريماس الذي بنى منهجه العملي على أبحاث بروب وغيره من الباحثين الذين سبقوه، وارتكزت نظريته على الأصل النحوي (الفاعل - المفعول به) مع التأكيد على مبدأ العلاقات بين الفواعل⁽¹⁶⁾.

(9) انظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية)، (ص207، 208).

(10) انظر: لحداني، حميد، بنية النص السردية من منظور النقد العربي، (ص50).

(11) الفوز، الريم مغوز، سيميائية الشخصية في الرواية السعودية، (ص30).

(12) لحداني، حميد، بنية النص السردية من منظور النقد العربي، (ص24).

(13) بروب، فلاديمير، مورفولوجيا الحكاية الخرافية، (ص158، 159).

(14) انظر: بروب، فلاديمير، مورفولوجيا الحكاية الخرافية، (ص99).

(15) انظر: بنكراد، سعيد، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، (ص219).

(16) انظر: العجمي، محمد الناصر، في الخطاب السردية (نظرية غريماس)، (ص35-37).

وحاول غريماس أن يقدم صياغة جديدة لوظائف الشخصية في نموذجه العاملي الذي يركز على ستة عوامل تنتظم وفق ثلاثة أصناف: الأول عامل ذات أو فاعل مقابل موضوع، والثاني مخبر أو مرسل مقابل مرسل إليه، والثالث مساعد مقابل معارض، وتأتلف هذه العوامل في ثلاث علاقات هي: علاقة الرغبة التي تجمع بين من يرغب "الذات" وما هو مرغوب فيه "الموضوع"، وعلاقة التواصل التي تجمع بين موجه للذات "المرسل" وموجه إليه "المرسل إليه"، وعلاقة الصراع التي ينتج عنها إما تحقيق العلاقتين السابقتين، أو منع حصولهما، ويدخل ضمنهما عاملان يدعى أحدهما "المساعد"، والآخر "المعارض"، يقف الأول إلى جانب الذات في حين يعمل الثاني على عرقلتها⁽¹⁷⁾.

أما تودوروف الذي جاء بعد غريماس فنجده في منهجه يجرّد الشخصية الروائية من محتواها الدلالي، ويتوقف عند وظيفتها النحوية في الرواية، فيجعلها بمثابة الفاعل في العبارة السردية؛ أي إنه ينظر إلى الشخصية بوصفها قضية لسانية، لتصبح عنده مجرد كائن ورقي، ليس له وجود خارج الكلمات⁽¹⁸⁾.

"وتأسيساً على موروث بيرس السيميائي، وتصوره الثلاثي للعلامة، والربط بينهما وبين مرجعياتها الخارجية؛ حاولت سيميولوجيا الشخصية إحالة الشخصيات/العلاقات على مرجعيات محددة أو غير محددة"⁽¹⁹⁾. وهذا ما سنراه في أبحاث فيليب هامون عن الشخصية.

الشخصية عند فيليب هامون:

يعد فيليب هامون من أبرز المنظرين للشخصية الروائية، وبيان وظيفتها داخل العمل السردية في العصر الحديث؛ إذ حرر مفهوم الشخصية من إطار الغموض الذي لحق بها من الدراسات السيميولوجية والاجتماعية، إلى مجال تناولها عن طريق السيميائية التي تهتم بنظام العلامة والإشارة، فدرس الشخصية عبر ثنائية الدال والمدلول، لتصبح الشخصية في نظره "علامة لها وجهان: أحدهما (الدال) (significant)، والآخر (المدلول) (signifie)، وتكون الشخصية بمثابة دال من حيث إنها تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها، أما الشخصية كمدلول، فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص، أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها، وهكذا فإن صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النص الحكائي قد بلغ نهايته، ولم يعد هناك شيء يقال في الموضوع"⁽²⁰⁾.

وبناء على تلك الرؤية يدرس هامون الشخصية ووظائفها في النص السردية عبر عدة محاور:

- دال الشخصية.
- مدلول الشخصية.
- مستويات وصف الشخصية⁽²¹⁾.

(17) نصيرة، زوزو، سيميائية الشخصية في رواية حارس الظلال، (ص3). نقلاً عن مصدره الغربي، (ص 176-180).

(18) انظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (ص213).

(19) النعيمي، فيصل غازي، العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبدالرحمن منيف، (ص169).

(20) لحداني، حميد، بنية النص السردية من منظور النقد العربي، (ص51).

(21) انظر: بنكراد، سعيد، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، (ص17).

وقد صنف الشخصية، في الدراسات التي تعتمد السيمياءية منهجاً لها، إلى ثلاث فئات:

1- الشخصية الإشارية.

2- الشخصية الاستذكارية.

3- الشخصيات المرجعية التي تضم الشخصيات التاريخية، والأسطورية، والمجازية، والاجتماعية.

وانطلاقاً من تلك التصنيفات تحاول هذه الدراسة الكشف عن أنماط الشخصية في رواية العجربة والثعبان، ثم محاولة تحليلها سيميائياً وفق عدّة محاور ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتوزيع العوامل، ودال الشخصية، ومدلولها.

ثانياً: الشخصية والعلامة في رواية العجربة والثعبان

وبناء على ما تقدم فقد انقسمت الشخصيات المرجعية في رواية (العجربة والثعبان) لإبراهيم الناصر الحميدان إلى عدة أقسام نتناولها كالتالي:

1- الشخصيات المرجعية:

وتنقسم إلى:

أ. الشخصيات الاجتماعية

تتداخل الشخصيات فيما بينها، فمنها ما هو مرتبط بالأسرة، ومنها ما هو مرتبط بالعمل، وسماتها وأفعالها ترتبط بالمجتمع الذي تعيش فيه وتحيل إليه، ومن تلك الشخصيات في رواية العجربة والثعبان:

شخصية سلطان الذي يظهر منشغلاً بمتابعة الدوائر الرسمية؛ للحصول على مناقصة التمديدات الكهربائية؛ ويترقى في عمله من عامل في شركة تعهدات إلى مستثمر مع شريك له في هذا المجال، فيصبح أحد المستثمرين البسطاء. ويظهر في خطابه منادياً بحقوق العمال والضعفاء، ليحيلنا إلى الأفكار الاشتراكية التي تأثر بها، وفي الوقت الذي يظهر متشدقاً باسم الفقراء والعمال البسطاء، يكشف في جوهره ميله إلى التسكع وملاحقة الراقصة العجربة محور الخطاب الأسطوري في الرواية... وهذه المفارقة في شخصيته توحى بالفراغ الذي يعانیه، فيحاول أن يشبع ميوله وحاجاته النفسية بالتسكع والبحث عن وسائل اللذة والمتعة عند تلك العجربة.

وأما عامر فينشغل بزيارة جريدة "الفجر" بوصفه واحداً من كتّابها، الذين يهتمون بالكتابات الصحفية، ويحرص على إيصال رسائلهم لجمهور القراء، حيث تظهر أبعاد علاقته بسليمان مسؤول التحرير في الجريدة، وبسند الدسم صاحب المطبعة والجريدة، "ومن خلال اللقاءات بين المتقنين في هذه الجريدة يطلعنا المؤلف على بعض الهموم والإشكاليات الثقافية والسياسية

والاجتماعية التي شغلت المثقفين ما بين منتصف الخمسينيات والستينيات، بوصف هذه الرواية - كما يتضح من أحداثها الواقعية - تتكئ كثيراً على تجربة الناصر نفسها، وكأنها تغرف غرماً من سيرته الذاتية المتמاسة واقعيًا مع بطل روايته "عامر"..⁽²²⁾.

- (أبو سلطان) وهو من الشخصيات الأسرية في المجتمع، وكان من بين هؤلاء القوم، وقد سأله عامر: أكان أبوك مقاتلاً... ومات في معركة؟⁽²³⁾. وهو سؤال يستدعي تاريخ الأب وبطولاته، ويحيل إلى تاريخ من النضال يحاول من خلاله معرفة على ماذا يتكئ سلطان من تاريخ أبيه النضالي ليستند عليه في الحاضر.

وشخصية الأطفال الذين يجدون في هذا المشهد تسلية لهم عند ذهابهم إلى الدراسة والعودة منها⁽²⁴⁾.

- شخصية الكهل العجوز عم سلطان (العم صقر)⁽²⁵⁾ الذي يكشف عن مخزون كبير من الخبرة، ويحيل إلى رصيد هائل من التجارب لا يمكن الاستغناء عنه من قبل شخصيات الرواية الرئيسة في مسيرتها في الحياة. ومن تلك الإشارات والنصائح المحيلة إلى خبرته وتجربته ما ورد في قوله: "سمع الخال يقول ناصحاً: يا ولدي لا تصير خفيف وتعطي من غير حساب... ربعم كثيرين.. تلقاهم في كل موقع.. والحرص واجب وإلا مصيرك الخسارة وعندها... ما أحد يسمى عليك... ولا يساعدك"⁽²⁶⁾.

وأحياناً يذكره بوصف الكهل في إشارة إلى مخزونه الكبير الذي يمتلكه من الحكمة والنصح، فيخاطب عامراً بعد أن قال له عامر "صباح الخير يا الخال ما شاء الله عليك تصحى بدري، فردّ عليه الكهل وهو ينهض.. اقترب موعد صلاة الفجر.. وأسمع الأذان من بعيد.. قال ذلك وهو يشير بيده التي شمرها استعداداً للوضوء"⁽²⁷⁾.

فالكل (الخال) يُعد من الشخصيات المرجعية التي تقوم بوظيفة الإخبار وتقديم المعرفة "إذ تزخر الرواية السعودية بمجموعة من الشخصيات التكرارية التي تقوم بعدة وظائف على مستوى التواصل والتبليغ، والتنظيم والتنسيق بين الأصوات الساردة والشخصيات السردية المتماثلة والمتقابلة، سواء أساسية كانت أم ثانوية أم فرعية. ومن ثم، فهذه الشخصيات التكرارية تؤدي عدة وظائف سيميائية داخل النص الروائي، تتمثل في: الإخبار والمساعدة، والتبشير والإنذار، والتذكر والاسترجاع، والاستشراف والاعتراف، والاستشهاد والتنبؤ، والتمني الحلمي والتفسير والتأويل... فقد اعتمد الروائي السعودي في أغلب

(22) المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية العجربة والتعبان، مقال بجريدة الجزيرة، العدد 10976، شعبان 1423هـ - أكتوبر 2002م.

<http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm>

(23) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، دار الهلال، الرياض، 1995م، (ص 8).

(24) انظر: الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص 14).

(25) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص 15).

(26) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص 31، 32، 33).

(27) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص 33).

الأحيان على رواة آخرين يساندون عملية السرد ويطورونها، مما يضمن في كثير من الأحيان إضافة عنصر التشويق، وكسر الرتابة المتأنية من تصدُّر الروائي الواحد حركة السرد⁽²⁸⁾.

ومثله شخصية منور التي تحكي قصص غرام بين جبلين.. إلخ، ونحيل إلى قصة أسطورية قديمة منداولة توحى بخبرته في الحياة وأوردها بهدف العظة والعبرة، وأحياناً يحيل إلى نصوص شعرية معروفة تكشف في دلالتها السيميائية عن عدم دوام الحال، وأن العاقل لا يغتر بطيب العيش وإقبال الدنيا عليه، فيستدعي قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس بعد زوال ملك المسلمين فيها منشداً:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

ويقول له: "ضع هذه الحكمة أمامك ليقرأها هؤلاء الموسرون"⁽²⁹⁾.

وهناك شخصيات ذات مرجعية مهنية اجتماعية، وهي التي تخدم الشخصيات المحورية في الرواية مثل الخادم الطبيب والمهندس القهوجي وغيره، ومنها أيضاً:

- القروي الذي تشارك مع سلطان لتمويل عملية تمديدات كهربائية في قرية قريبة من مدينة الرياض، ثم انقطع الحديث عنه⁽³⁰⁾.

عشرات العمال الذين يتجهزون على جانبي الطريق بحثاً عن عرض عليهم العمل، وصورتهم المثيرة وهم يتراكمون من كل الجهات بمجرد أن يروا شخصاً يوقف عربته ويناديهم، ثم يتلفت بحثاً عن ضالته من بين هذا الكم الهائل من العمالة العاطلة⁽³¹⁾. وهي صورة تحيل إلى الواقع المعيش وأثره البائس في الناس، وعلاقة الطبقة العمالية بأولئك الأغنياء الذي ينتقون من بينهم من يناسبهم لشغل العمل الذي يريدونه، وتدل من جهة أخرى على ارتفاع معدل البطالة التي نتج عنها كثرة العمال الذين يبحثون عن عمل ويتراكمون إذا رأوا من يقف باحثاً عن عامل.

ومن تلك الشخصيات التي لها صلة بالعمل أيضاً سند الدسم شريك بالمطبعة، وهو "كهل في الأربعين من العمر، أسمر اللون نحيف الجسد، حاد الطباع، منابعه الثقافية محدودة جاد في تصرفاته، وإن كان يميل إلى السخرية، متزوج وله ثلاثة أبناء، يميل إلى القصر، له شارب صغير، وذقن قصير، مستدير الوجه صغير الأنف، شريك في المطبعة...⁽³²⁾. وهيئته وصفاته وعمره. وكل صفة من تلك الصفات تشير بدلالاتها السيميائية إلى شخصية قوية وحادة في تعاملها مع العاملين، ودائماً ما ينظر العامل إلى رب عمله ويفهمه من خلال ملامحه الموصوفة.

(28) الفوز، الريم مفوز، سيميائية الشخصية في الرواية السعودية، (ص97).

(29) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص56). والبيت الشعري لأبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس، انظر: ديوانه، دبت، (ص4).

(30) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص5).

(31) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص21).

(32) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص26).

وكذلك الأسمر الذي يحمل القهوة (القهوجي) "دخل الشاب الأسمر يحمل أدوات الشاي مسرعاً، ومضى إلى الدسم مباشرة قائلاً: عمي تشرب شاي.. وإلا أجيب القهوة.

ثم يصف الأسمر بالهدوء والتفكير ومراقبة مسؤوله الذي في المطبعة، وهو يحاول أن يلبي طلبه، ويعرف ماذا يحتاج قبل أن يطلب منه، فيقول: "وقف الأسمر ينظر إلى الأرض بينما يسرق النظر بطرف خفي إلى الرجل الذي له كلمة نافذة في المطبعة وكذلك الجريدة... إلخ" (33).

وفي موضع آخر يصف الأسمر بقوله: "وكان الفتى؟ الأسمر المكلف بالتخديم أكثرهم انشغالاً، إذ يطوح بما يستر رأسه ويبقى حاسر الرأس حتى لا يُعاق عن إبطار فناجين الشاي بالسائل الذهبي، ونقلها من واحد إلى آخر، كما يقوم بالانتقال إلى غرفة الخدمة حتى يتأكد أن الماء في السخان جاهز لعمل شاي جديد عند الضرورة مردداً، وهو ينتقل.. أبشر.. أبشر.. حاضر، ولكنه لا ينسى أن يشفط نفسين من السجارة قبل أن ينطلق في هذه المهمات السريعة... حيث يضع السجارة في منضدة سرية تحت أحد الشبائبك لا يعرف مكانها أحد" (34).

وفي موضع آخر يتكرر وجود تلك الشخصية، وبصورة أخرى تبين عن الإعياء والتعب الذي أصابه لكثرة انشغاله بخدمة الحضور فيصفه بالشباب الأسمر، ونادراً ما يذكره باسمه الذي يوحي بالرمزية، "فحين كان سليمان يريد أن يتحدث مع ليلى بصوت هامس لولا أنه لا يريد أن يفوته مما يقال في تلك الجلسة... بينما الشاب الأسمر، ويدعى (عثمان) يتحرك بتناقل، وقد بدا عليه الإعياء وتصبب العرق من جبينه. نظراته توحى بالاسترحام وطلب الرأفة به، ومع ذلك فإنه لم يتوقف عن العمل أو يكف عن سحب نفسين قويين من سيجارته في ذلك المكان الخفي بين الصحف" (35).

ومن تلك الشخصيات التي لها صلة بالعمل رجل الأمن الذي يظهر وهو يعلق سلاحه على خاصرته بواسطة حزام ذي فصوص لامعة، عابس المحيا، فاكهه وجهه لهذا اللقاء، وتحامى عنه بالنظر إلى ما خلف كتفه بانزعاج وقلق متسائلاً ما ضرورة حمل السلاح في بلاد آمنة؟ أهى مغازلة للجاهلية التي اندثرت بعد أن تنادى سكان الجزيرة وقوفاً أو جلوساً.. الله أكبر.. الله أكبر... (36).

ويتشكل العالم الواقعي من خلال حركية هذه الشخصيات في الحياة العامة المألوفة ما بين الدمام والرياض، والسكن في أماكن متفرقة من الرياض؛ في المربع، ومنفوحة، والبطحاء، والعود... والعمل في أماكن متعددة أبرزها مكتب جريدة الفجر،

(33) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص27).

(34) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص44).

(35) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص47).

(36) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص35).

والمصرف المالي ... وكلها أماكن تشير إلى صخب الحياة وأجواء الضغط النفسي التي تتركها لتكشف عن هموم المجتمع وما يعانیه في حياته اليومية⁽³⁷⁾.

ومن الشخصيات الاجتماعية بقية شرائح المجتمع العجوز، والصحفي، والطبيب وكل من له علاقة بالشخصيات المحورية، فهناك بعض الشخصيات التي تعبّر عن ضمير الجماعة الفكري والعقائدي والاجتماعي، ومهمتها هي القيام بوظيفة التنبؤ والإنذار مثل شخصية منور كما أسلفنا، وشخصية العم صقر التي تقوم بدور التنبؤ والإخبار عن عالم الجن وكيف يديرون أمورهم ومدى اقترابهم من البشر.. إلخ.

"أما المرأة الواقعية فقد غابت عموماً عن بنية السرد، باستثناء لمحات محدودة جداً عن الفتاة الشقراء ذات القامة الطويلة والعينين الزرقاوين التي أولع بهما، فلا يرى في ذلك الوجه سوى هاتين العينين اللتين لا تبيحان له بشيء مثل صفحة الماء في بحر هادئ. وهي تعمل في مكتب نائب رئيس الشركة في الدمام، وليلى المنذوبة الوحيدة عن النساء في الجريدة، التي تظهر عن طريق مكالمات هاتفية غير واضحة مع سليمان مسؤول التحرير، بل إن صوتها أحياناً يريد أن يخترق سماعة الهاتف ليحضر بين المثقفين، فيعبر عن رأيه ورأي المتعاطفات مع الجريدة. وزوجة سليمان تظهر هي الأخرى من خلال بعض الحوارات بينها وبين زوجها على فراش النوم داخل منزلها، وهي حوارات تعبّر عن غير المرأة على زوجها من النساء الأخريات، وتعد هذه الغيرة بجانب التعلق بأفكار الجن لدى النساء مدخلاً يفضي بالمثقف سليمان إلى أن يصف زوجته والنساء كلهن بقوله: "معقدة .. جاهلة.. كلكن نساء غيبات"⁽³⁸⁾. "فيدين هذا الموقف - بكل تأكيد - خطاب الناصر الذي همش دور المرأة في الرواية، كما همش شخصيتها التي يفترض أن تكون فاعلة، لا مهمشة معقدة جاهلة غيبة!!"⁽³⁹⁾.

فكل الشخصيات السابقة قد أدت دورها المتمثل في تفعيل أحداث الرواية في إطار العلاقات المتبادلة بين الشخصيات الرئيسة والشخصيات الثانوية، وتشكل تلك العلاقات من منظور الراوي العليم.

ب. الشخصيات التاريخية

وتتنوع هذه الشخصيات فمنها الشخصيات ذات المرجعية الدينية؛ إذ يستدعي شخصية المسيح في مقولته الشهيرة "من كان منكم بلا خطيئة فليرم بحجر"، ويقول: "أهذا قول للمسيح أم الدجال؟"⁽⁴⁰⁾.

وفي سياق آخر يستدعي شخصية دينية صوفية مشهورة في التاريخ وهي شخصية رابعة العدوية في سياق دعوته إلى فهم الحياة، وجعلها نزهة يتبادل الناس فيها الحب والمعرفة بأن نكون عوناً للخير والابتعاد عن الشرور.. ليستلهم من شخصية رابعة العدوية حب الله، ومن جهة أخرى عدم الإسراف في حب الذات فيقول: "عشق الحياة والذات قد يمتد إلى عشق الله

⁽³⁷⁾ انظر: المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية العجربة والثعبان، <http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm>

⁽³⁸⁾ الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والثعبان، (ص58).

⁽³⁹⁾ المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية العجربة والثعبان، <http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm>

⁽⁴⁰⁾ الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والثعبان، (ص26).

والتصوف كما حدث لرابعة العدوية التي يقال إنها أسرفت في حب الخالق عز وجل؛ ولهذا وضعت كل صبوتها في حب الذات الإلهية. ثم قضت وهي مبتسمة لهذا العشق الذي ملك عليها كل ذاتها" (41).

كما يستدعي شخصيات الملوك الفراعنة في وصف العجربة وجمالها الأسطوري ليعلل هذا الجمال السحري الذي تتصف به فيقول: "معجون دمه من ذهب الفراعنة قبل أن يواروه قبورهم الجاثمة بين الصخور في تلك الأهرامات العجيبة" (42).

ثم الإشارة إلى الشخصيات اليهودية المرابية في الأزمان السحيقة كاستدعاء رمز ديني تاريخي كان يستخدم الدين من أجل الاحتيال، بقوله عن أولئك الأبالسة المحتالين الذين يحتالون على أموال المحتاجين ويسرقونها، فيشبههم باليهود المحتالين في قوله: "إنهم يشبهون ما يُقرأ من أساليب المرابين اليهود في الأزمان السحيقة الذين يصادرون حتى الزوجات عند عدم تسديد مديونياتهم" (43).

وأما الشخصيات ذات المرجعية السياسية فقد قل وجودها في الرواية، في حين وجدت الشخصيات ذات المرجعية الثقافية كأهل الأدب والغناء وغيرهم، فيستدعي شهرزاد ويوظفها في روايته وهو يصف محبوبته، ويجعل من نفسه شهريار المعجب المفتون في حب شهرزاد، (44) وهي حالة من النرجسية العالية تشير إلى قدسية حبه وسموه على غيره.

- كما تحضر شخصية قيس وليلى بوصفهما مثالاً للحب والتغلب على متاعب الحياة" وحب الإنسان لآخر قد يرتفع من اندثار المحسوسات إلى شفافية وذرى المثالية كما نرى في حب قيس وليلى الرواية التي حزن من أجلها قد يحاول كاتبها أن يجعل أبطاله من شهداء الحب وهناك أمثال بالآلاف في التاريخ القديم" (45).

وكانت آخر رواية قرأها بعنوان الحساء والكهل جعلته بيكي.. وهي قصة حب غريب نشأ بين فتاة في العشرين من عمرها جذابة شقراء...وفي الأخير يتساءل هل في هذا الزمن الدموي الأغبر -زمن الانقلابات العسكرية- يعيش النمط الرومانسي جنباً إلى جنب؟ ثم يتساءل: أي منحدر يجتازه العالم في هذا العصر؟

"والمهم أن هذه الحكاية وقصص العشاق الكثيرة، كقصة رابعة العدوية، وقيس وليلى، وتبدو أسطوريتها من خلال كونها تحيل أبطالها إلى شهداء الحب من وجهة نظر السرد!!" (46).

كما نجد في الرواية مجموعة من الأسماء ذات المرجعيات الثقافية التي تشكل محوراً للحوارات الثقافية التي تدور في مكتب الجريدة، بوصف الجريد علامة ثقافية يجتمع الناس فيها ليستعرضوا ثقافتهم كونها متنفساً ثقافياً، على مستوى الرؤى الفكرية التي انشغل بها وضع المثقفين آنذاك، وهو مستوى يحد من تنامي جماليات بنية السرد؛ لذلك ينقطع التتابع السردية

(41) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص36).

(42) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص105).

(43) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص58).

(44) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص99، 104).

(45) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والتعبان، (ص36).

(46) المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية العجربة والتعبان، <http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm>

مما يجعل البنية الروائية ميالة إلى التقشف الفني بسبب ما يمكن تسميته "هيمنة الحوارات الداكنة المحكومة برقابة يفرضها الناصر على خطابه السردية" (47) ... وقد برز من بين الأسماء ذات المرجعيات الثقافية شخصيات: نوار، وعود، وعرشان، وصالح المنشف، ومنور، ومسعود الكرولي، والسامعي، وسامح... وغيرهم ممن يحضرون إلى الجريدة.

ج. الشخصيات المجازية أو الأسطورية (الرمزية)

تحضر الشخصيات الأسطورية في الرواية السعودية بوصفها علامات سيميائية توحى في دلالاتها البعيدة إلى معانٍ أخرى غير ظاهرة، يكتشفها المتلقي الناقد للخطاب السردية بأدواته الخاصة التي يحلل بها النص السردية.

فهي تحضر في الرواية السعودية بوصفها علامات سيميائية ذات دوال لسانية، تحمل في طياتها مدلولات مرجعية وذهنية، وتحيل إلى تصورات مفهومية ومقصديات مباشرة وغير مباشرة؛ مما أتاح إمكانية كبيرة لخلق أنماط شخصيات متنوعة لا تتناسخ ولا تكرر ذاتها (48).

وإذا أمعنا النظر في قراءتنا رواية الغجرية والثعبان بشكل عام، فنجد أنها ذات إحالة رمزية أسطورية في أغلبها، إذ تختزل في حركية سردية مسكونة بالغرائبي الملازم للشخصيات والأزمنة والأمكنة والأحداث واللغة، ومن ثم تتشكل جماليات الرواية من اللغة الخارجة عن المألوف والعادي من الكلام، بوصفها بنية خطابية سردية جديدة ينزاح فيها الخطاب السردية إلى سياق الخرافة والأساطير مع عدم إهمالها للواقع الذي تدور فيه أحداث الرواية، فتبقى الرواية تواصلية، يفهمها القارئ العادي بطريقته الخاصة، على أساس أنها تنهل من تراثه الشعبي ومخياله الجمعي، كما يفهمها الناقد بطريقة مغايرة قد تكون مليئة بالرموز والدلالات إن عمل ذهنه لاكتشاف ما وراء النص وتأويلاته.

ينتقل بطلا الرواية (عامر، وسلطان) من الدمام إلى الرياض، ويعيشان خلال الطريق بين المدينتين حالة أسطورية بين الأرواح الهائمة في صحراء الدهناء؛ كأن يرى سلطان والده المتوفى يرقص "العرضة" بين الأرواح والجان. ثم يقيمان في المربع وسط الرياض عند "صقر" عم سلطان.

أما بقية الشخصيات فيتداخل فيها الواقعي والأسطوري إلى حد كبير، وهي شخصيات: الغجرية وثعبانها، وشنقافة وكلبته، والعجوز التي تخدم في بيت عامر وأسرارها في التحول والقدوم من عالم الأرواح، والقط الأسود، والشاة الملونة... وهذه الشخصيات الأسطورية -تحديدًا- تعدّ محور مقاربتنا للبنية الأسطورية أو المخيال الشعبي في الرواية!! (49). كأفعال بعض الشخصيات التي تحيل إلى قضايا أخرى مجازية أو رمزية مثل قضايا السلام والتعايش والحب وغيرها.

(47) المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية الغجرية والثعبان، <http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm>

(48) انظر: حليفي، شعيب، شعرية الرواية الفنانة سيتكية، دار الأمان، الرياض، ط1، 2009م، (ص197).

(49) انظر: المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية الغجرية والثعبان، <http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm>

ومن الشخصيات الرمزية أو الأسطورية تلك التي تتصل بعالم الجن وعالم الأساطير وهي شخصيات خيالية وبعيدة عن الواقع ومنها:

-حكاية قصة غرام بين جبلين اسم أحدهما (سنام)، والآخر الأنثى اسمها (طمية)، ويبدو أن الجبال الأخرى لم تعجبهما هذه العلاقة فأرادوا الإيقاع بين الحبيبين، وقد نجحت هذه المكيدة، وربما أن نجاحها اعتمد على خيانة طمية ومغازلتها لجبل آخر؛ مما أغضب سناماً، وأراد الابتعاد عن حبيبته ليعاقبها على فعلتها، فأسرَّ إلى صديقه الجمل.... إلخ تلك القصة الأسطورية التي ترمز إلى أثر الفراق على المحب وقيمة الوفاء في الصحبة والرفقة، وهو يستدعي بذلك قصة المثل المعروف " زعلت سنام على طمية).

وأحيانا يضفي على محبوبته صفة القداسة، ويحيل بذلك إلى شخصية أسطورية لإله الجمال عند الرومان (فينوس) ليصف بها محبوبته،⁽⁵⁰⁾.

ويمكن القول إن العالم الأسطوري هو العالم الأساس للرواية، وهو (عالم الخرافات الشعبية)، ويعد محور الرواية، ويظهر من خلال استحضار العلاقات غير الواقعية؛ أي العلاقات التخيلية، متمثلة بمجموعة من الرموز الغرائبية أو الأسطورية الساكنة في أعماق مخيال الرؤية الشعبية، كشخصيات الجان، والفتاة العجربة، والثعبان، والقط الأسود، والكلب، والشاة المخططة، والأرواح الساكنة في القبور، أو الهائمة في الصحراء، والتحول من شخصية إلى أخرى في سياق المفهوم الشعبي المتصور عن تحولات الأرواح وتناسخها⁽⁵¹⁾.

2- الشخصيات الواصلة

وتعد هذه الشخصيات بمنزلة علامات لغوية فارغة تتوب عن المؤلف في سرد الأحداث داخل النص كالسارد، بضمير الأناء، ومن الصعب الإمساك بهذا النوع من الشخصيات كما يرى هامون، وتعد شخصيات رئيسية من شخصيات العمل وليست شخصيات تابعة للبطل فحسب⁽⁵²⁾. وتمثل شخصية العجوز، التي وجدها عامر في غرفته تخدمه جنية من عالم الأرواح، شخصية من الشخصيات الواصلة، فهي تخبر عامراً أنها كانت جارة لأمه قديماً، وأن أمه التي توفيت منذ زمن طويل هي التي بعثتها إليه لتساعده في أمور حياته، تقول له: "أنا مرسله من والدتك حتى أخدمك فلا تقلق (..) أنت لا تعرفني، وأنا من جيرانكم في الحارة، وليس لدي أبناء لأنني لم أتزوج، وأنت ابني وزوجي في ديار الغربية"⁽⁵³⁾. وكذلك تبدو العجربة في بعض جوانبها فتاة جنية تصورت في صورة هناء حبيبة عامر قبل عشرين عاماً...

⁽⁵⁰⁾ انظر: الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والثعبان، (ص104).

⁽⁵¹⁾ انظر: المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية العجربة والثعبان، <http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm>.

⁽⁵²⁾ انظر: بنكراد، سعيد، سيمولوجيا الشخصيات الروائية، (ص، 17، 18، 26).

⁽⁵³⁾ الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والثعبان، (ص80).

إن عالم الجن والأرواح عالم أساسي وجوهري في نسج العالم الأسطوري لواقع الرواية، ويتضح ذلك في بناء الشخصيات الخيالية المبتكرة من مخيلة المؤلف، وزمن الرواية ومكانها ولغتها أيضاً؛ وهذا ما جعل النص السردي للرواية متجدداً ومؤثراً في القارئ.

ثالثاً: دال الشخصية ومدلولها في رواية العجربة والثعبان

من حيث الدال نجد أن سيميائية العنوان تحيل إلى دلالات متناقضة تتضح في ما يوحي إليه عنوان الرواية (العجربة والثعبان)، وهما اسمان علمان، وما يحيل إليه هذا العنوان من إشارات ومعانٍ خفية تفهم من خلال التأويل؛ إذ إن العجربة تحمل دلالة العجر وأفعالهم، وما تحيل إليه تلك الدلالة من ارتحال، وتقل، وعدم ثبات، واختلافهم عن عادات السكان المدنيين وتقاليدهم، واختلاف أسمائهم وغرائبيتها؛ لاختلاف الأماكن التي يعيشون فيها وعدم ثباتها، وهو ما يشبه عالم الجن وتناقضاته المميزة له من عالم الأدميين، فضلاً عن ارتباط تلك الدلالة بخصوصية الجمال المنفرد الذي تتمتع به العجربة المختلف عن المؤلف والسائد. "العجر مفتاح القهر لأهل السياسة والمكر، يطوفون الدنيا وخاصة الصحاري، ولا أحد يعرف لهم منبأً ولا مربطاً، ولا يستطيع أن يمنعهم من أكل الثعابين والحصرم، ويتناسلون بهدوء ولا يعرفون المدينة أو البندر، عشقهم للمرح والحرية أذاب أمامهم جميع العقبات، فجعل الأرض جميعها مفتوحة لهم وبسلام، يدخلون ويخرجون من الممالك والأقطار وحتى من تحت الأرض" (54).

أما الثعبان فيوحي بدلالات الخوف والغدر بما يحمله داخله من سمّ قاتل، وهذا يتناقض تماماً مع دلالات العجربة، لتصبح الرواية محملة بدلالات متناقضة بين العجربة ودلالاتها الموحية بالجمال والأمن والحب، والثعبان ودلالاته الموحية بالخوف والموت. كل تلك الدلالات أسهمت في إبراز عالم متناقض من العلاقات المتناقضة تماماً، وهو ما يتناسب مع عالم الخيال والجن والأساطير التي تضح به الرواية.. فالعنوان تقنية سردية وعلامة سيميائية يستطيع من خلالها الناقد الكشف عن العوالم الخفية للرواية.

وأما من حيث أسماء الشخصيات فنجد أن الاسم إحدى السمات المميزة للشخصية الروائية، إذ إن كثيراً من الأسماء تلخص لنا الشخصية التي وضعت لها في الرواية، وتدل على حقيقتها ووصفها بإيجاز، ولا يوضع الاسم ويختار في الرواية عبثاً واعتباطاً، بل إن الروائي يختار أسماء شخصياته بعناية، لتكون متناسبة مع ما يرمي إليه في سياق الأحداث التي تخوضها تلك الشخصيات، فهو يعيها ويخصها بكيان محدد ومهمة محددة أيضاً، ولذلك يكون للاسم المختار دلالة مهمة تسترعي اهتمام الناقد؛ لأن الراوي اختاره بعناية، وانتقاه عن قصد وخبرة، مراعيًا مستواه الاجتماعي والثقافي، وجنسه واتجاهه، وغير ذلك من المعطيات التي يخضع لها اختيار اسم الشخصية داخل الرواية.

(54) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والثعبان، (ص95).

وفي رواية العجربة والثعبان تطالعنا بعض أسماء الشخصيات في الرواية التي تحمل دلالات متنوعة؛ منها ما هو إشاري، ومنها ما هو رمزي، ومنها الديني، والاجتماعي، والعائلي، ومنها الطبقي، والأجنبي... وغيره.

فاسم عامر، أحد أبطال الرواية الثلاثة (عامر، وسلطان، والعجربة، والثعبان) يشير في دلالاته إلى ما يحمله اسم الفاعل (عامر) من دلالة على المكان الأهل بالسكان والحركة والنشاط، فضلاً عما تحيل إليه هذه الدلالة من الخير والبناء والأنس والراحة، وبخاصة مع محبوبته العجربة التي أغراه جمالها.

أما سلطان، صديق عامر الرجل الثري الذي رافق عامراً في رحلته من الدمام إلى الرياض، فدلالة اسمه (سلطان) التي تحيل إلى السلطة والملك، تتناسب مع الثراء والغنى الذي لازمه، فضلاً عن معنى السلطة والتسلط، ولذا أراد بقوته وسيفه وثرائه أن يستحوذ على العجربة من دون عامر، فيظهر في النهاية على حال من حالات الجنون، يحمل سيفاً، ويتحدى عامراً، متهماً إياه بأنه اختطف عشيقته منه.

سند الدسم الشريك في المطبعة، واسمه مركب من كلمتين، ولهذا الاسم أبعاده السيميائية التي تتناسب مع دلالاته في السياق الموضوع لها في الرواية؛ فهو شريك سلمان في المطبعة، وهذا ما تحيل إليه لفظ (سند)، وهو الغني الثري الذي يجلب الأنظار إليه، وهذا ما تدل عليه لفظة (الدسم) التي تحمل بُعداً مادياً يُطلق على الغني في الذاكرة الشعبية بأنه (دسم) في إشارة إلى الغنى والترف على الرغم أن منابعه الثقافية محدودة، لكن كلمته نافذة في المطبعة والجريدة، في إشارة إلى أن المال هو الذي يتحكم بالتقافة ويسير معها (55).

وأما العم صقر (الكهل) عم سلطان، فدلالته اسمه تشير إلى الذكاء والفتنة ورؤية الأشياء عن بصيرة وخبرة وهذا ما تشير إليه دلالة اسمه (صقر)، والصقر في المعاجم هو الطائر الذي يُصاد به من الجوارح.. والصَّقرُ كلُّ شيء يصيد من البزاة والشواهين، ويضرب به المثل في حدة النظر وتفحص الأشياء، ويتناسب ذلك مع ما أورده الراوي عن صقر الذي يرى " أن الجان يعيشون مع الناس، وأن أغلبهم مسلمون لا يؤذون أحداً من الإنس، لكن بينهم كفره ومشركين، وهؤلاء يحتكون بالناس، ويمكن أن يحدث منهم أذى، أما خيارهم فلا.. وفوق كل ذي علم عليم..." ثم يشير إلى تركيزه بالنظر فيقول: "اختتم جملته الأخيرة مبتسماً وهو يوزع نظراته بينهما وكأنما يرجوهم إعفاءه من المزيد من الشرح..." (56).

وفي موضع آخر ينكر السياق لبيبين عن حدة نظراته وتركيزه أكثر فيقول: "تصاحك صقر وإن ركز نظراته على ابن أخيه.. ظهرت عليه علامة الدهشة فعلق....، وقوله: فهز صقر رأسه وهو يفكر.. (كل شيء علمه عند الله) وفي إشارة إلى مهابته قوله: "كان يركز على سلطان وقد اصفر لون وجهه؛ مما جعل سلطان يكف عن أي تعليق" (57). وما زال الصقر

(55) انظر: الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والثعبان، (ص26).

(56) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والثعبان، (ص17).

(57) الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والثعبان، (ص18).

مثالاً للقوة والألفة والعلو والسيطرة والمهابة والفروسيّة والصبر والنباهة والسُرعة، وهذا الوصف يتناسب في صفات العم صقر ونباهته وعلمه وشدة ذكائه كما أظهره الراوي.

وأما سليمان فهو اسم للمسؤول عن التحرير بالجريدة، ويتجه نحو مقاومة المستعمر في كتاباته، ويظهر ذلك في مقاله الذي كتبه في الجريدة، وأشد فيه بوعي الشباب الذين التقى بهم، وتعهد بمواصلة المسيرة التي درجت عليها الجريدة في طرح آراء الشباب وتطلعاتهم المستقبلية في الوقت الذي كانت تتأجج فيه الأفكار التحريرية في الوطن العربي والمطالبة بالوحدة العربية... لا سيما بعد هزيمة الإنجليز في القناة واستعدادهم للخروج منها، والتي كانت تُعدُّ أكبر قاعدة استعمارية في القطر العربي آنذاك بل في الدول العربية كافة....⁽⁵⁸⁾. ويحيل دال سليمان الناثر المناهض للاستعمار إلى شخصية ثورية تاريخية تمثلت في البطل سليمان الحلبي، الذي اغتال قائد الحملة الفرنسية على مصر (كليب) ومعه كبير المهندسين بالبستان الذي داره بحي الأربكية وهو مقر القيادة العامة بالقاهرة)، حيث تنكر سليمان الحلبي في هيئة شحاذ، ودخل عليه في حديقة قصره يوم 2 صفر 1216هـ الموافق 14 يونيو 1800م، وعمد سليمان الحلبي يده، وشده بعنف، وطعنه أربع طعنات متوالية أردته قتيلاً، وحين حاول كبير المهندسين الدفاع عن كليب طعنه أيضاً ولكنه لم يمت، فيندفع جنود الحراسة الذين استنفرهم الصراخ فيجدوا قائدهم قتيلاً، فامتلات الشوارع بالجنود الفرنسيين، وخشي الأهالي من مذبحه شاملة انتقاماً من الاغتيال، في حين تصور الفرنسيون أن عملية الاغتيال هي إشارة لبدء انفاضة جديدة، أما سليمان فقد اختبأ في حديقة مجاورة إلى أن أمسكوا به ومعه الخنجر الذي ارتكب به الحادث، (والذي يحتفظ به الفرنسيون إلى يومنا هذا في متحف الإنسان بقصر شايو في باريس مع جمجمة سليمان الحلبي في علبة من البلور مكتوباً تحتها: جمجمة مجرم)⁽⁵⁹⁾. فكان دال سليمان وسياق المقال بمثابة إشارة إلى توجه الصحف، ومهمتها في إنكاء الروح الجديدة في المجتمع العربي، وخاصة بين تيار الشباب.

الخادم الأسمر عثمان (القهوجي)، الذي يصرح باسمه لأول مرة في الرواية، وعندما يتبادر عثمان يتبادر إلى ذهن القارئ ما تحمله دلالات هذا الاسم تاريخياً من التواضع والمبادرة والطيبة والتفاني في خدمة الناس، وكذلك اسم سامح الذي يشير إلى التسامح والعفو واللطف.

أما منور الذي يروي قصة سمعها من أبيه عن حكاية عشق أسطورية بين جبلين، ونوار الذي يتداخل بالحديث ليأتي بالسؤال والأشعار، وكلاهما شخصيتان تحضران لتحقيق غاية في الرواية هي الحديث عن القصص والسؤال القديمة والأشعار بهدف تأكيد حكمة معينة أو مثال أو قصة هادفة⁽⁶⁰⁾، ولو لحظنا أن اسم منور ونوار مشتقان من النور والضياء، ودورهما في الرواية يتناسب مع ما تحيل إليهما مادتهما المعجمية.

⁽⁵⁸⁾ الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والثعبان، (ص22).

⁽⁵⁹⁾ انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org/wiki>

⁽⁶⁰⁾ الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والثعبان، (ص45).

أما اسم العلم (شناقفة) فيحيل بغرائبية اسمه إلى القبح والشر؛ لأنه مشتق من الشر، وهو "المنحوت من (شقق آفة)، وهو علامة محورية في البنية الأسطورية داخل الرواية"⁽⁶¹⁾. ودلالة اسمه تتناسب مع صفاته التي سجلها الراوي في الرواية: إنه شخص طويل القامة، داكن اللون، يرتدي ثوباً قديماً قاتمًا، له وجه مستدير، تتوسطه أسنان بارزة، وعينان جاحظتان، وشفتان غليظتان، وله يد كبيرة، ذات أصابع طويلة، وغير نظيفة، يلف غترته حول الجزء الأسفل من وجهه، ابتسامته مخيفة، وصوته مبوح، غريب الأطوار، كأنه من صاحب الكرامات السحرة، يحك إبهام رجله الكبير بالأرض، فيخرج خيطاً من الدخان الأصفر، وتتقادح النيران من جسمه. يسكن في المقبرة، فيبدو للآخرين معتوهاً قبيحاً مسحوراً أو مسكوناً، فبيته حفرة كبيرة يصعب النزول إليها، لا يفارقه كلبه المخيف مثله!! ومن ثمّ يمثل من خلال قبحة، وثيابه الرثة، ورائحته النتنة الغول بعينه.. ومع ذلك فهو أمير من الجن تقول عنه العجربة: "حين يعود إلى طبيعته (الجن)، يصبح أجمل وأحلى من أبناء أهل الأرض، وزوجته الكلبة الضخمة تغار عليه، ولا تغفل عيناها عن حراسته. إنه ابن أمير من أمراء أهل باطن الأرض"⁽⁶²⁾.

فالشخصية بوصفها دالاً تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها كما يقرر هامون⁽⁶³⁾. "فالأسماء إشارات سيميائية دالة على جوهر الشخصيات، بحيث تسهم في تعميق وجودها الفني"⁽⁶⁴⁾.

وأما من حيث مدلول الشخصية فنجد تنوعاً في تقديم الشخصيات وتعدداً في الروايات حسب تنوع الكتاب وتعدد ممولهم، فهناك من الكتاب من يقدم شخصيات روايته بشكل غير مباشر، فيرسمها بصورة دقيقة، ويحجب عنها كل شيء مظهري، وهناك من يقدمها بشكل مباشر حين يخبرنا عن أوصافها وطبائعها، أو يوكل ذلك إلى شخصيات أخرى بصورة غير مباشرة، حين يترك للقارئ أمر استخلاص الخصائص والصفات والتعليق على النتائج المستخلصة من الأحداث التي تتشارك فيها تلك الشخصيات⁽⁶⁵⁾.

ويقترح فيليب هامون مقياسين لقياس الشخصيات الأول كمّي، ويهتم بكمية المعلومات المتوافرة والمعطاة بصراحة حول الشخصية، والثاني نوعي، ويهتم بمصدر المعلومات التي تقدم حول الشخصيات، هل تقدمه الشخصية بنفسها بصورة مباشرة، أم تقدمه بصورة غير مباشرة، أم أنها معلومات ضمنية تستخلص من خلال سلوك الشخصية وأفعالها داخل الأحداث الروائية⁽⁶⁶⁾.

وتتنوع الشخصيات في رواية العجربة والثعبان، وتختلف باختلاف وظائفها، فمنها ما يؤدي دوراً رئيساً في الرواية، مثل سلطان، وعامر، وسليمان، وسند الدسم، والعجربة، ومنها ما يكون دوره ثانوياً مثل العم صقر، ومنور، وشناقفة، وسامح، وبندر، ونوار، وهناء، والعجوز، والقهوجي... إلخ.

⁽⁶¹⁾ المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية العجربة والثعبان، <http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm>

⁽⁶²⁾ الحميدان، إبراهيم الناصر، العجربة والثعبان، (ص101).

⁽⁶³⁾ لحداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد العربي، (ص51).

⁽⁶⁴⁾ نصيرة، زوزو، سيميائية الشخصية في رواية حارس الظلال، (ص11).

⁽⁶⁵⁾ انظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (ص223).

⁽⁶⁶⁾ انظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (ص224).

"وقد يكون التركيز على إبراز صفات وسلوكيات معينة في هذه الشخصيات، وراء تقديم معلومات عامة ومركزة، بل قد يكون لها دلالات كبيرة تغني عن كثير من المعلومات المفتقدة حولها، وهذا سيكشف عنه المقياس النوعي"⁽⁶⁷⁾. وهنا يعد كلام الراوي من أهم مصادر المعلومات الإخبارية⁽⁶⁸⁾، حيث نجد في رواية العجربة أن الراوي يقدم أكثر قدر من المعلومات حول شخصيات روايته.

وتتجلى الصورة الأولى في تعقيبه على الشخصيات المعارضة بشكل ساخر، ونلاحظ ذلك في الوصف الذي يضيفه على بعض الشخصيات، ويصفها أحياناً بالأنف القصير واللسان الحاد، وغيرها من الصفات.

وقد يلجأ الراوي إلى استعمال تقنية الوصف كونها شكلاً رمزياً قادرة على اختراق المجال الدلالي للتعبير عن أفكار عدة⁽⁶⁹⁾.

ويكشف الجدول الآتي عن تلك التقنية التي استعملها الراوي في رواية العجربة والثعبان لوصف شخصيات الرواية بشكل كبير:

جدول رقم (1): وصف الشخصيات

الوصف	الموصوف	محتوى الوصف	الصفحة
الراوي	سلطان	(خارجي) في الثامنة والعشرين من العمر.. قصير القامة، حاد الذكاء، أسمر اللون، يضع نظارات طبية ملونة على عينيه، مستدير الوجه، حليق الشارب والذقن،...متعاطف مع الطبقة العاملة.	5
عامر	الجن	هم في الليالي المقمرة يفضلون الخروج من مكنهم والجلوس في الهواء الطلق.. لكنهم مسلمون مثلنا...	6
عامر	الشقراء	(خارجي) تلك الشقراء ذات القامة الطويلة في مكتب نائب رئيس الشركة... أحب عينيها الزرقاوين وفمها الصغير ذا الشفتين الرقيقتين ذات اللون الرماني.	8
الراوي	الكهل العم (صقر)	(خارجي وداخلي) كهل في الخامسة والأربعين من العمر يضع نظارات طبية على عينيه، مستدير الوجه، حنطي اللون، شاربه كث، ولحيته صغيرة، رفيع القامة، طويل الأنف، صغير الفم، شاحب الوجه إلى حد ما، بشوش، حيث إن الابتسامة ارتسمت على وجهه بمجرد أن رأها.	15
الراوي	سليمان	(خارجي وداخلي) كان سليمان كما عهده ربوع القامة، حنطي اللون، يميل إلى البياض... عيناه سوداوان واسعتان، يستعمل نظارات طبية، مستدير الوجه.. شاربه كثيف الشعر، وذقنه صغيرة، أنفه مستقيم، وفمه الصغير الذي لا يخلو من سيجارة بين شفتيه، باسم المحيا، هادئ الطبع، مكتبه الصغير يمتلئ بالصحف...	24
الراوي	الشاب	(خارجي) شاب أسمر يرتدي ثوباً أبيض، على رأسه كوفية، ويديه اليمنى يحمل	25

⁽⁶⁷⁾ نصيرة، زوزو، سيميائية الشخصية في رواية حارس الظلال، (ص9).

⁽⁶⁸⁾ انظر: لحداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد العربي، (ص51).

⁽⁶⁹⁾ انظر: نصيرة، زوزو، سيميائية الشخصية في رواية حارس الظلال، (ص9).

الوصف	الموصوف	محتوى الوصف	الصفحة
الراوي	الأسمر (القهوجي) عثمان	إبريق الشاي بينما الأخرى تحمل صينية معدنية عليها بعض الفنّاجين. تقدم نحو الضيف وهو يبتسم، ثم انحنى قليلاً بجذعه الطويل حتى تكون الصينية المعدنية في موازاة يد الضيف.	
الراوي	سند الدسم	(خارجي وداخلي) كان القادم سند الدسم: كهل في الأربعين من العمر، أسمر اللون، نحيف الجسد، حاد الطباع، منابعه الثقافية محدودة، جاد في تصرفاته، وإن كان يميل إلى السخرية، متزوج وله ثلاثة أبناء يميل إلى القصر، له شارب صغير، وذقن قصيرة مستدير الوجه صغير الأنف... يحب السفر إلى الخارج كريم النفس.	26
الراوي	عامر	(خارجي) كان يتيمًا بعد وفاة والده... كان آنذاك في التاسعة عشرة من عمره مكث وحيدًا في منزله عقب رحيل والده، كان خفيف النوم سريع اليقظة.... كان يراه وسيما جدًا على عكس ما كان قد رسمه في ذهنه عن صورته.. كان أبيض اللون، مشربًا بالحمرة، ذا شارب دقيق ناعم في وجهه مكتمل الاستدارة، الأنف فوق فم صغير ذي شفاه حمراء ناعمة، وذقن مدببة تتوسطها فجوة صغيرة، حاجبه أسود كثيف الشعر، تتردد أنفاسه بهدوء مثل طفل يختمر بالبراءة..	22
الراوي	شنقافة	(خارجي) إنه شخص طويل القامة، داكن اللون، يرتدي ثوبًا قديمًا قاتمًا، له وجه مستدير، تتوسطه أسنان بارزة وعينان جاحظتان، وشفقتان غليظتان، له يد كبيرة، ذات أصابع طويلة، وغير نظيفة، يلف غترته حول الجزء الأسفل من وجهه، ابتسامته مخيفة، وصوته مبجوح، غريب الأطوار، كأنه من صاحب الكرامات السحرة، يحك إبهام رجله الكبير بالأرض، فيخرج خيطًا من الدخان الأصفر، وتتقادح النيران من جسمه. يسكن في المقبرة فيبدو للأخريين معنويًا قبيحًا مسحورًا أو مسكونًا، فبيته حفرة كبيرة يصعب النزول إليها، لا يفارقه كلبه المخيف مثله!! ومن ثمّ يمثل من خلال قبحه وثيابه الرثة ورائحته النتنة الغول بعينه.	40
الراوي	العجربة	(خارجي) فتاة عادية في العقد الثاني من عمرها، مديدة القوام، وقد أطلقت شعرها الناعم الطويل الذي بلغ عجيزتها مثل الحرير تطوح به يمينًا وشمالًا مع إيقاعات حركة جسدها.... كانت رشيقة الجسد، ذات عينيّن سوداوين، وأنف صغير، وثياب براقّة بالخيوط الذهبية، بينما صدرها البارز يكتظ بالمصوغات البراقّة، ذات ابتساماة عريضة براقّة... راقصة بارعة ومغنية موهوبة..	64
الراوي	الفتاة	(خارجي) ذات بشرة بيضاء، وشعرها الحريري يتناثر فوق عجيزتها.. صدرها ناهد يكاد يمزق الغلالة التي ترتديها.. أنفها صغير، وفمها يشي لونه بوضع	98

الوصف	الموصوف	محتوى الوصف	الصفحة
		مكياج طبيعي، وجسدها الممشوق، وردفان مشدودان، وسيقان ملفوفة ...	
الراوي	هنا	(خارجي) ذات الوجه المستدير والبسمة المشرقة... تلك الرشيق الهيفاء ذات العينين السوداوين الواسعتين .. شعرها الناعم الطويل المنسدل على صدرها .. وصدر تتقاذف فوقه ليمونتان ناضجتان..	102

لقد جاء معظم الوصف، كما رأينا في الجدول أعلاه، على لسان الراوي الذي يصف من الخارج في سبيل بيان ما تتمتع به الشخصيات الموصوفة من صفات تتناسب مع موقعها ووظيفتها في الرواية، بحيث يبدو الراوي وكأنه المسيطر على شخصيات الرواية وإدارة أحداثها. كما تركز معظم الوصف على الصفات الخارجية، وبخاصة الملامح الجسدية، فيما يختص بالمظهر كالوجه، والشعر، واللحية، والقصر، والطول وغيرها، في حين قلَّ وصف الصفات الداخلية التي تتعلق بالنفس، والطباع، كالكرم، والإحسان، وحسن الخلق، والتواضع وغيرها. وجاء معظم الوصف بطريقة مباشرة من الراوي العليم، في حين كان الوصف بالطريقة غير المباشرة قليلاً جداً في الرواية.

كما نجد أن وصف الشخصيات تضمن أحياناً بعض التشخيص البلاغي؛ فخرجت بعض الأسماء عن بعدها التقريرية المعجمي إلى الفضاء المجازي الإيحائي؛ إذ إن اسم العلم "يشكل بالنسبة للفكر الأهلي استعارة للشخص"⁽⁷⁰⁾. وفي رواية العجربة والتعبان يشخص الراوي العالم التخيلي الفلكلوري الخرافي من خلال شخصيات: العجربة، والتعبان، وشنقافة وكتبته، والشاة الملونة، والقط الأسود، وأرواح الأموات في تحولاتها العديدة.. "إذ يمزج إبراهيم الناصر بين هذه الأشياء من خلال تجسيد عوالم الجان والأرواح في واقعية العلاقة بين واقع الناس المعيشي الذي يمثل بخرافات ترى التعبان أميراً من الجان، يعشق العجربة التي هي بدورها فتاة جنية، بل إن حارس المقبرة شنقافة الرث في شكله وملبسه هو أمير جني وسيم، وليس القط الأسود، والشاة الملونة، والعجوز، والطير سوى فتيات جنيات جميلات"⁽⁷¹⁾. وقد أبرز ذلك بأسلوب التجسيد الذي شخص من تلك الشخصيات الخرافية المتخيلة، وجعلها حيّة تعيش مع الإنسان وتشاركه الحياة والحب.

وقد يعمد الراوي إلى التغلغل في أعماق الشخصيات ليكشف عن رؤاها وتصوراتها وتفكيرها وما يجول في أفكارها وما يخطر في مشاعرها، ومن ذلك ما ورد في وصف القهوجي من أنه كان يطيل النظر إلى الأرض.....
والتركيز على إبراز الجوانب السيئة والكشف عنها لغايات معينة، والسخرية منها.

وكل تلك الشخصيات التي ظهرت في عالم الرواية تعبر عن الجوانب الثقافية والاجتماعية في محاور كشفت عنها الرواية من خلال عالمين؛ الواقعي، والأسطوري، وكان العالم الأسطوري هو الأساس في بنية الرواية، كما كان الراوي هو المتحكم في فعل الشخصيات وأقوالها في أغلب أحداث الرواية، محاولاً تصوير الواقع الأسطوري وأنسنته، ونقله من العالم الخيالي إلى الواقع المعيش.

(70) بنكراد، سعيد، سيمولوجيا الشخصيات الروائية، (ص53). نقلًا عن كلود ليفي شتراوس.

(71) المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية العجربة والتعبان، <http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm>

استنتاجات الدراسة.

الشخصية الروائية بوجه عام تأخذ طابع وظيفي، وتخضع لاعتبارات مفهومية حتى تكتسب هذه السمة، فهي في المقام الأول دور، والأدوار بطبيعتها متنوعة ومتعددة، وتشمل كل مشارك في العمل الروائي، سواء اضطلع بدور سلبي أو إيجابي، كما وتؤدي الشخصية الروائية وظائف متعددة في العالم الخيالي الذي يخلقه الروائي حيث تلعب دوراً رئيسياً ومهماً في تجسيد فكرة الروائي، ولها قيم فنية وجمالية، ويحمل عنوان رواية العجربة والثعبان دلالات متناقضة، حيث إنها اسمان علمان، وما يحيل إليه هذا العنوان من إشارات ومعانٍ خفية تفهم من خلال التأويل؛ إذ إن العجربة تحمل دلالة العجر وأفعالهم، وما تحيل إليه تلك الدلالة من ارتحال، وتنفق، وعدم ثبات، واختلافهم عن عادات السكان المدنيين وتقاليدهم، أما الثعبان فيوحي بدلالات الخوف والغدر بما يحمله داخله من سمّ قاتل، وهذا يتناقض تماماً مع دلالات العجربة، لتصبح الرواية محملة بدلالات متناقضة بين العجربة ودلالاتها الموحية بالجمال والأمن والحب.

وينجلي في رواية العجربة والثعبان تظالعا بعض أسماء الشخصيات في الرواية التي تحمل دلالات متنوعة؛ منها ما هو إشاري، ومنها ما هو رمزي، ومنها الديني، والاجتماعي، والعائلي، ومنها الطبقي، والأجنبي... وغيره. فاسم عامر، أحد أبطال الرواية الثلاثة (عامر، وسلطان، والعجربة، والثعبان) يشير في دلالاته إلى ما يحمله اسم الفاعل (عامر) من دلالة على المكان الأهل بالسكان والحركة والنشاط، فضلاً عما تحيل إليه هذه الدلالة من الخير والبناء والأنس والراحة، وبخاصة مع محبوبته العجربة التي أغراه جمالها. أما سلطان، صديق عامر الرجل الثري الذي رافق عامراً في رحلته من الدمام إلى الرياض، فدلالة اسمه (سلطان) التي تحيل إلى السلطة والملك، تتناسب مع الثراء والغنى الذي لازمه، فضلاً عن معنى السلطة والتسلط، ولذا أراد بقوته وسيفه وثرائه أن يستحوذ على العجربة من دون عامر، فيظهر في النهاية على حال من حالات الجنون، يحمل سيفاً، ويتحدى عامراً، متهماً إياه بأنه اختطف عشيقته منه. وأما العم صقر(الكهل) عم سلطان، فدلالته اسمه تشير إلى الذكاء والفتنة ورؤية الأشياء عن بصيرة وخبرة وهذا ما تشير إليه دلالة اسمه (صقر)، والصقر في المعجم هو الطائر الذي يُصاد به من الجوارح، أما سليمان فهو اسم للمسؤول عن التحرير بالجريدة، ويتجه نحو مقاومة المستعمر في كتاباته، ويظهر ذلك في مقاله الذي كتبه في الجريدة، وأشاد فيه بوعي الشباب الذين التقى بهم، كذلك ظهر الخادم الأسمر عثمان (القهوجي)، الذي يصرح باسمه لأول مرة في الرواية، وعندما يتبادر عثمان يتبادر إلى ذهن القارئ ما تحمله دلالات هذا الاسم تاريخياً من التواضع والمبادرة والطيبة والتفاني في خدمة الناس، وكذلك اسم سامح الذي يشير إلى التسامح والعفو واللطف، وبرزت شخصية أخرى وهي منور حيث يروي قصة سمعها من أبيه عن حكاية عشق أسطورية بين جبلين، ونوار الذي يتداخل بالحديث ليأتي بالسؤال والأشعار، وكلاهما شخصيتان تحضران لتحقيق غاية في الرواية هي الحديث عن القصص والسؤال القديمة والأشعار بهدف تأكيد حكمة معينة أو مثال أو قصة هادفة، أما اسم العلم (شناقفة) فيحيل بغرائبية اسمه إلى القبح والشر؛ لأنه مشتق من الشر، وهو "المنحوت من (شقق آفة)، وهو علامة محورية في البنية الأسطورية داخل الرواية، فالشخصية بوصفها دالاً تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها كما يقرر هامون. "فالأسماء إشارات سيميائية دالة على جوهر الشخصيات، بحيث تسهم في تعميق وجودها الفني، أما من حيث مدلول الشخصية فنجد تنوعاً في تقديم الشخصيات

وتعدّداً في الروايات حسب تنوع الكتاب وتعدددهم وميولهم، فهناك من الكتاب من يقدم شخصيات روايته بشكل غير مباشر، فيرسمها بصورة دقيقة، ويحجب عنها كل شيء مظهري، وهناك من يقدمها بشكل مباشر حين يخبرنا عن أوصافها وطبائعها، أو يوكل ذلك إلى شخصيات أخرى بصورة غير مباشرة، حين يترك للقارئ أمر استخلاص الخصائص والصفات والتعليق على النتائج المستخلصة من الأحداث التي تتشارك فيها تلك الشخصيات.

الخاتمة:

لا تعدو شخصيات رواية (العجربة والثعبان) إلا أن تكون إشارات سيميائية لا متناهية إلى عالم خيالي أسطوري رمزي، من خلال تشابكاتها وتفاعلاتها العلائقية، كما أن كل المقاطع في أبعادها النسقية لا تنفصل عن عالم الرواية والذات الساردة، وما يكتنفهما من آلام وآمال وتحولات وإحباطات، جسدتها صورة التجربة السردية، بصورتها الرمزية للواقع الغير موجود أو المتخيل في إشارة إلى حلم الذات في بناء ذلك الواقع الذي لم يفصح عنه إلا بإحاطته إلى عالم أسطوري خيالي، وعلى هذا الأساس يصبح العالم الخرافي هو البعد المركزي في اللغة السردية.

كما أسهم اسم العلم الشخصي، والوصف، والتشخيص، بوصفها علامات وإيحاءات لغوية دالة- في رسم الشخصيات الرواية وتحديدها، والتعبير عن أفكار الشخصيات وهمومها ودرجة وعيها من كل النواحي؛ بحيث أسهم الدال في تشكيل البناء الكلي للنص الروائي. وكان لصور التشبيه والاستعارة والكناية أثرها في التشخيص البلاغي للشخصيات وصفاتها ونقل مدلولاتها من الإطار المعجمي إلى الإطار المجازي الإيحائي.

المصادر والمراجع:

- بحراوي، حسن، (1990م). *بنية الشكل الروائي "الفضاء، الزمان، الشخصية"*. ط1. المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء.
- بروب، مورفولوجيا. (1989م). *الحكاية الخرافية، ترجمة: أبو بكر باقادر، وأحمد نصر، النادي الأدبي الثقافي بجدة.*
- بنكراد، سعيد، (2003م). *سيمولوجيا الشخصيات الروائية*. ط1. رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة أنموذجاً، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- الحازمي، حسن بن حجاب، (1427هـ). *البناء الفني في الرواية السعودية*، ط1. دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان.
- الحمود، علي محمد. (1432هـ). *الاتجاه الإسلامي في الرواية في دول مجلس التعاون الخليجي*، ط1. عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- الحميدان، إبراهيم الناصر، (1995م). *العجربة والثعبان*، (د.ط) دار الهلال، الرياض.
- العجمي، محمد الناصر، (1993م). *في الخطاب السردى (نظرية غريماس)*، (د.ط). الدار العربية للكتاب، تونس.

الفواز، الريم مفوز، (1437هـ - 2015م). سيمياء الشخصية في الرواية السعودية، 1410هـ-1430هـ؛ دراسة سيمياءية، ط1. النادي الأدبي الثقافي بجدة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.
لحمداني، حميد، (2000م). بنية النص السردى من منظور النقد العربي، ط3. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الدار البيضاء.
ماضي، شكري، (1996م). فنون النشر العربي الحديث، ط1. منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان.
مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (1973م). المعجم الوسيط، ط2. مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار إحياء التراث.
ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ). لسان العرب، ط3. دار صادر، بيروت.
النعمي، فيصل غازي، (2009م). العلامة والرواية دراسة سيمياءية في ثلاثية أرض السواد لعبدالرحمن منيف، ط1. دار مجدلاوي، عمان.

المجلات:

نصيرة، زوزو، (2006م). سيمياء الشخصية في رواية حارس الظلال، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع9.

-المناصرة، حسين، (2002م). ذاكرة المخيال الشعبي في رواية "العجربة والثعبان"، مقال بجريدة الجزيرة، العدد 10976.